

جوهرة

65

التاج المسروق

علاء الدين طعيمة

دار الدعوة





- أغـرب الرحـلات
- تجمـع بين المتعة
- لاغنى عنها في الرحلات والبيت



٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

تليفاكس: ٣٩٠١٩١٤ – ٣٩٠٧٩٩٨ / ٠٣

مغامرات عجيبة جداً

جوهرة التاج المسروق

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع القانونى: ٢١٩٨ / ٢٠٠٦م
الترقيم الدولى: 3 - 386 - 253 - 977

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

تليفون: ٣٩٠١٩١٤ - فاكس: ٥٩٠١٦٩٥

مغامرات مؤمن

جوهرة التاج المسروق

تأليف:
علاء الدين طعيمة

رسوم
عبد الرحمن بكر



بسم الله الرحمن الرحيم

مغامرات عجيبة جداً..

قمة الفرح أن يعثر الإنسان على تاج أثرى عتيق خال من الجواهر، ولكن تكون قمة الإثارة والمتعة عندما تتابع وتقرأ مغامرات ذلك البطل وهو يسعى للعثور على جواهر هذا التاج، إنه يسافر فى رحلات عجيبة عبر البحار والأنهار، فيتعرض للأخطار والأهوال ويرى نماذج غريبة من البشر وعجائب من الإنس والجن والأحياء والأموات، وفى كل مغامرة -بعد العناء والصراع مع المكان والزمان- يفلح فى إضافة جوهرة جديدة إلى التاج.

يشعر المرء إذا سُرق منه شيء بشعور بغيض.. ويشعر أن من يسلبه حقه بدون إذنه.. أنه قد سلب روحه.. ومهما كان الشيء المسروق ثمينًا أو رخيصًا.. فإن المسروق يحزن ويتمنى لو أمسك بهذا اللص الذى خدعه وغافله ونهب ممتلكاته.. لكن من العجيب أن يكون الشخص المسروق قد مات منذ مئات السنين، وأن الذى يشعر بالحزن لذلك هو أحد أحفاده، فكيف حدث هذا الكلام ومتى؟

كان مؤمن يُرصِّع تاجه العتيق بآخر جوهرة.. وكان سعيدًا إلى حد كبير.. ووقف يقول فى نفسه:

هذا التاج لا يوجد فى الدنيا مثيل له.. يجب الآن أن أعثر على جواهره المتبقية.

وأخذ يعد الجواهر الكبيرة التى كانت تزين إطار التاج السفلى وقال وهو يراقب بريقها الأخاذ:

- بضع وستون جوهرة حتى الآن.. ولكن يا ترى كم أحتَاج من جواهر صغيرة من الماس حتى أرصع جميع التاج.. يا إلهى.. هذه الثقوب تعد بالمئات.. متى يا ربى سأجمع كل هذه الجواهر؟!

ودخلت عليه أمه وهو فى المخزن القديم وقالت له:

- يا مؤمن.. ماذا تفعل هنا إلى هذا الوقت المتأخر؟

- أتأمل التاج يا أمى.. قمت حتى الآن ببضع وستين مغامرة حصلت فيها على أكثر من ستين جوهرة... ولكن انظرى... مازال أمامى النوع الآخر من الجواهر.. إنه عدد أكبر من أن يُحصى.

- يا إلهى.. نعم.. إنها الجواهر الصغيرة... الألماسات... يبدو أنك ستحتاج إلى عمر جديد من

أجل هذا التاج.. ويبدو أنك على أعتاب مغامرة جديدة... تعال... فهناك شاب غريب ينتظرك فى ردهة البيت.

- شاب غريب... من هو؟...

- لا أدرى يا مؤمن ولكن يبدو من مظهره أنه مستعد للسفر أو أتى من سفر.. تعال يا ولدى... تعال واستقبل ضيفك.

- إذن يا أمى... أعدى لنا عشاءً طيبًا وضعى فيه أحسن ما عندنا من طعام.. فقد وصَّانا نبينا وحبيبنا المصطفى ﷺ بإكرام الضيف.

- أعلم يا ولدى... هيا بنا.

ونزل مؤمن من المخزن.. وتوجه إلى الردهة.. فوجد شابًا قويًا عليه سمات المسافر، فأقبل عليه وهش له:

- أهلاً أهلاً... أهلاً وسهلاً.. كيف حال ضيفنا فى بيتنا.

- على خير حال.. ونعم المضيف أنت يا مؤمن.

- تفضل بالجلوس.. تفضل.

- وتعرف مؤمن على ضيفه ثم تناولا الطعام، وشكر له الضيف ذلك، ودام الحوار المتفاهم بينهما...فالضيف هو بلال المشرقى.. من بلاد اليمن.. جاء إلى مصر خصيصًا لمؤمن.. بعدما سمع عن بطولاته ومغامراته وإنجازاته المشهورة.

- وأنا لن أجد يا صديقى مثلك كى يعاوننى فى العثور على التاج.

- تاج؟!.. أى تاج؟

- هذه حكاية طويلة... منذ نعومة أظافرى وأنا أقرأ مذكرات جدى السابع... كان ملكًا من ملوك



اليمن... كان قويًا وله جيش عرمرم.. وملك تليد... وعلى كلٍّ... لا ينبغى أن أقص عليك الحكاية الطويلة... كل ما فى الأمر أننى فى حاجة ماسة إليك لنعثر على تاج جدى القديم.

ضحك مؤمن وقال:

- ماذا تظننى يا بلال... أخطأ من قال لك إنى ساحر... أضرب الأرض بعصاى فأخرج لك تاج جدك المفقود... لا يا صديقى مؤمن ليس كذلك... يجب أن تعلم أننى أفكر جيداً فى تلك المشكلة.. وأجتهد من أجل الانتفاع بما لدى من معلومات حتى يتوافر لى السبيل لذلك.. يجب أن تحكى لى الحكاية من أولها لآخرها.. وعندئذ سنحدد.. هل يمكننا فعل شيء أم لا..

- لا يا مؤمن... لا... أنا لن أخرج من هذا البيت إلا وأنت معى... وإذا كان الأمر ضروريًا إلى هذا الحد... فاستمع يا أخى لحكاية جدى:

- كانت قوة جدى تزداد يومًا بعد يوم... ولم يكن يدرى على الإطلاق سر قوته وملكه العظيم.. حتى فعل مثلما فعلت أنا.. أخذ يغوص فى مكتبته القديمة ويخرج أمهات الكتب العتيقة حتى علم من الأوراق والنصوص.. أن السر يكمن فى التاج الملكى الذى يضعه فوق رأسه.. وأخطأ جدى عندما لم يحفظ هذا السر عن الناس... بل على العكس.. أخذ يبوح به.. ويفتخر بأن لديه هذا التاج العجيب... وكان يظن أنه طالما يملكه.. فليس لأحد قدرة على منازعته فى ملكه... ولكن أهل الشر كانوا بالمرصاد.. وحاول

حاشيته أن يغتالوه من أجل تاج الملك العجيب.. لكنه كان يعرف مبكراً.. ويقاوم الشر... حتى حدث شىء عجيب يا مؤمن.

- وما هو؟

- بدأ التاج فيما يبدو يفقد عجائبه وقدراته الفائقة... فقد أخذ كل شىء ينهار بسرعة غريبة... وانهزمت جيوش جدى... ونهبت ثرواته.. وذاب ملكه حتى أصبح فقيراً.

- يا إلهى.. وكيف حدث ذلك.. وماذا جرى لجدك بعد ذلك؟

- ظل جدى محتفظًا بالتاج.. وحارب بسيفه حتى لا يؤخذ منه.. وفر هاربًا من البلاد إلى أن أتى موعد موته... كان من حوله يريدون معرفة المكان الذى خبأ

فيه التاج... لكنه لم يخبرهم بأى شيء.. ومات جدى... وفشل كل أحفاده فى العثور على هذا التاج... وها قد أتى دورى لأعيد المحاولة.. وكلى أمل فى العثور عليه.

أخذت مؤمن الدهشة من هذا الشاب الذى يبحث عن شيء، فشل كل القدامى على مر عصور متعاقبة فى العثور عليه.. لكنه احترم فيه التصميم، ولم يشأ أن يحبطه أو أن يقلل من أهمية رغبته العارمة، ولكنه قال:

- يا بلال... أنا لا أريد أن أدفعك إلى مالا ترغبه.. لكننى أرى أنك أمام مهمة شاقة... وقد يحالفك الفشل فيها.. وإنى أسأل: ما هو دافعك من أجل هذه المغامرة الكبيرة... هل تعتقد أن على المرء بذل الجهد فى أمر غير ذى نفع؟

- إذا كان كـما تزعم... فكيف انـهار ملك جدك التـليد والتاج فوق رأسه.. لماذا لم ينفعه التاج فى إنقاذ حاله السيئ؟؟!

شرد بلال قليلاً ثم قال:

- هناك حلقـة مفـقودة يا مـؤمن فى مذكـرات جدى... وكـان يجب عليك أن تحلل القـصة بشكل أفـضل... لماذا لم تسأل نفسك.. إذا لم يكن هذا التـاج حقًا على قدر كبير من الأهمية.. فلماذا استمسك به جدى حتى بعـد انـهـيـار كل شيء.. ولماذا.. لمـاذا ظل الآخـرون يطاردون جـدى ويتعـقـبونه مـن أجل هذا التاج وقـد قصصت لك ذلك... فكِّر يا صديقى.

شعـر مؤمن بالحـيرة.. وأدرك صـدق ومنطقيـة كلام بلال... وأخذ يتساءل هو الآخر... لماذا التاج... لماذا؟..

مـا الـذى جـعل الجـد الملك.. يفـرط فى كل شىء إلا هو؟... ولماذا ظل الناس يـطلبـون هذا التـاج بعـد زوال ملكه الكبير؟

- مـاذا قلت يا مـؤمن... هل تخـرج مـعى للبـحث عن التاج المفقود؟

- أعتقـد يا بلال أن المسألة جديرة بالاهتمام... وأعـتقد أيضًـا أن علىّ الاستـعداد لـلخروج مـعك... انتظرنى قليلاً.

كان الوقت ليـلاً عندما كان مـؤمن يقفز فوق صـهوة جواده ويتحرك بهدوء متقدمًا إلى بلاد اليمن مع صديقه الجديد بلال المشـرقى... وعندما لاح نور الصبـاح وكانا قـد تركـا العـمـار إلى الصـحـراء.. قـال مـؤمن لبـلال والجوادان يتمهلان:

- هل توصلت إلى احتمالات عن أماكن البحث عن التاج يا بلال؟

- عندما نصل إلى اليمن... سأطلعك على كل الوثائق.. وسندرس سويًا من أين يمكننا أن نبدأ البحث يا صديقى.

ومرت عليهما الأيام والليالى وهما يمران عبوراً من القارة الأفريقية إلى القارة الآسيوية... حتى وصلا فى ذات صباح إلى اليمن.. وكانا فى حالة من التعب والإجهاد.. فلما وصلا إلى بيت بلال.. سارع الخدم إلى إعداد الحمَّام والطعام.. وعجب مؤمن أن (بلال) شاب ثرى لديه بيت جميل وفخم وخدم وحشم:

- عجبًا لك يا بلال.. أكل هذا الخير عندك وتبحث عن التاج؟!

- أريد أن أعيد الملك إلى عائلتنا يا مؤمن... إن الملك الذى يحكم البلاد الآن.. ملك ظالم طاغ.. يسلب الناس حقوقهم... ويسألهم أن يعطوه حقه.. ولولا انشغالى بالبحث عن التاج.. لقمت بعمل حملة عسكرية وجندت فيها الناس من أجل نزعه من مكانه.

- عفواً يا صديقى.. عفواً... لا يحق للناس أن ينابذوا السلطان وأن ينزعوه من مكانه... إلا فى حالة واحدة.

- وما هى يا صديقى الحبيب؟

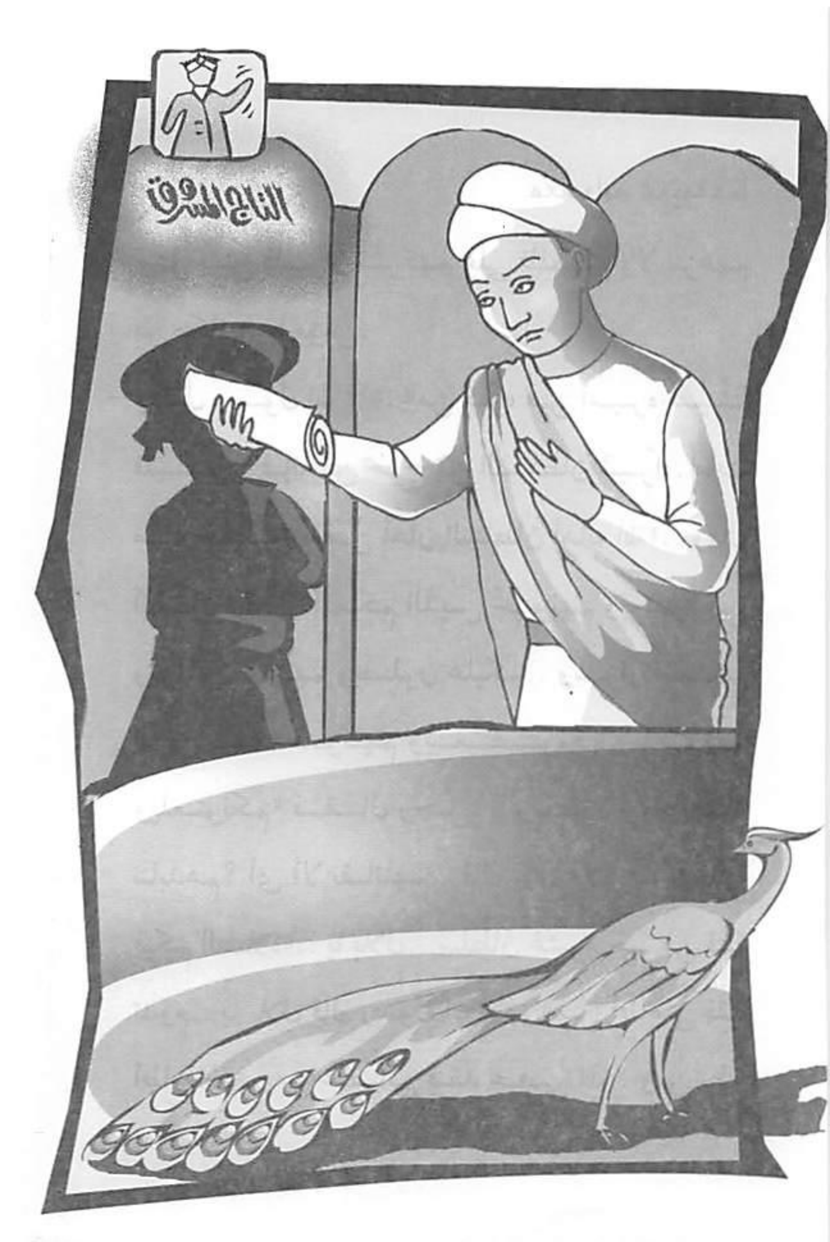
- هل يسمح هذا الملك بأن تقام الصلوات فى المساجد ويرتفع الأذان يدعو الناس لها؟

- نعم.. بل هو يشجع على إقامة الشعائر الدينية.. لكنه ظالم.

- يا صـديقـى.. لكم أن تنصـحـوه... لـكم أن تكرهوا أفعاله السيئة.. ولا تشجـعوه عليها.. ولكن أن تقوموا عليه لتنزعوه من مكانه وهو مـازال يقيم شرائع الله فى البلاد.. فهذا ما يأباه الله ورسوله ﷺ.

- كيف ذلك يا مؤمن بالله عليك؟

- قال رسول الله ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكـره إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أُمـر بمعصية فـلا سـمع ولا طاعـة»... وفى حـديث رواه مـسلم.. سأل أحـد الصحابة رسول الله ﷺ فـقال: يا نبى الله... أرأيت إن قامت علينا أمـراء يسألوننا حقـهم ويمنعوننا حقنا.. فما تأمرنا.. فـأعرض عنه النبى ﷺ.. فعاود ثم سأله نفس السـؤال.. فقال ﷺ: «اسـمعوا وأطيـعوا.. فإن عليهم ما حمّلوا وعليكم ما حمّلتم».


التاجر المسروق

- وهل يعنى ذلك أن نتركهم على ظلمهم ولا ننزعهم من مكانهم يا مؤمن.

- يقول رسول الله ﷺ: «من كَره من أميره شيئًا فليصبر.. فإنه من خرج من السلطان شبرًا.. مات ميتة جاهلية.. ومن أهان السلطان أهانه الله».. وقال أيضًا: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم.. وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم» فقال رجل: يا رسول الله.. أفلا ننابذهم؟ أى ألا نقاتلهم.. قال ﷺ: «لا.. ما أقاموا فيكم الصلاة».. يا بلال.. سلطان غشوم خير من فتنة تدوم.. يا بلال قال رسول الله ﷺ: «من أطاعنى فقد أطاع الله.. ومن عصانى فقد عصى الله.. ومن يطع

الأمير فقد أطاعني.. ومن يعص الأمير فقد عصاني».

- كلام طيب يا مؤمن. فما الذي يمكننا عمله مع ذلك؟
- الذي أعرفه.. أن الرسول ﷺ لم يُحرم طلب السلطان.
- لا أفهم.. ماذا يعني ذلك؟
- يعني أنك ممكن أن تطالب بأن تكون ملكًا أو سلطانًا.. تكافح من أجل أن تكون أنت الأمير... لكن مع وجود أمرين.. أولهما: أن الإمارة والمسئولية عن الناس كما قال الرسول ﷺ أمانة.. وإنها يوم القيامة خزي وندامة.. إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها.. والأمر الثاني أن تطلبها بالطرق الشرعية المسموح بها وألا تشعل الفتنة في البلاد من أجلها.. وإلا فقد أغضبت الله.

شعر بلال بالقلق وقال:

- إذن دعنا يا مؤمن من هذا الأمر الشائك.. وهيا نفكر الآن فقط فى أمر التاج المفقود.. قلبى يحدثنى أننا إذا عثرنا عليه فسوف نصل إلى حسم هذا الاختلاف بيننا.. هيا بنا نتناول الطعام.. فلابد أنك جائع مثلى.

مضى الوقت وأكلا واغتسلا واستراحا.. وجاء الليل فذهب بلال بمؤمن إلى حجرة المكتبة.. وفيها رأى مؤمن ما أسال لعابه.. فهو يعشق الكتب القديمة.. ويتمنى لو قضى حياته بين أوراقها.. يتعلم من القدماء ويتعلم تاريخهم ويأخذ منه العبرة..

- ها هى الأوراق يا مؤمن والوثائق.. ومذكرات جدى.. يجب عليك الآن أن تقرأ كل هذه الأوراق.. أمامنا الليل بطوله.

وكانت ليلة مرهقة ومثيرة فى ذات الوقت... وبعد أن أنهى مؤمن القراءة جلس إلى بلال يتفاهمان بخصوص ما وصلا إليه.

- هل وصلت فى قراءاتك إلى ما وصلت إليه أنا يا مؤمن؟

- فى الحقيقة.. أنا لم أجد إلا احتمالاً واحدًا.. بما أن جدك فر هاربًا من اليمن ووصل إلى أقصى الحجاز وليس معه التاج.. فلابد أنه قد أخفاه فى مكان قبل وصوله إلى هناك.

ابتسم بلال وصاح رافعًا ذراعيه:

- هذا ما وصلت إليه أنا أيضًا يا مؤمن.. وأضيف لك.. إننى أشك فى مكان واحد.. مكان واحد يمكن أن يكون التاج مختفيًا فيه..

- أعتقد أنك تظن ما أظنه بالتحديد.. ألا تقصد أن جدك عندما مكث في المنطقة الوسطى من أرض الحجاز وقتًا طويلاً قبل وصوله إلى العمار استطاع بمفرده أن يخفي التاج هناك؟

- بلى يا مؤمن.. بلى.. أنت ذكي.. ولذلك يجب أن نذهب إلى منطقة الشعاب الوسطى.. ونبحث هناك بكل ما أوتينا من قوة حتى نعثر عليه.. ماذا قلت.. هل نخرج في الصباح الباكر... أنا لا أطيق الانتظار؟

- وهو كذلك.. ولو أنني أريد تحذيرك من أمور خطيرة يا بلال... من خلال خبرتي ومغامراتي الطويلة.. سمعت أن المكان الذي تريد الذهاب إليه يعج بالأخطار.. وفي الحقيقة أنا في دهشة حتى وقتنا هذا.. في دهشة من جدك.. كيف استطاع العيش

هناك كل هـذا الزمن.. إنه مكان قـاس يا بلال.. هذا وإن كان يغرينى بالتـحدى.. إلا أننا لا يجب أن نلقى بأيدينا إلى التهلكة.. ماذا قلت يا صاحبى؟

- لا تحـاول أن تثنينى يـا مـؤمن عـن هدفى.. أى شىء ممكن أن نقابله هناك؟

قام مؤمن يتمشى وهو يتكلم:

- هناك.. درجة الحرارة لا يتحـملها إنسان فى النهار... أمـا بالليل.. فالبـرودة قـارصة.. وإنا كنا نملك تحـمل ذلك.. فـأنا أعلم أنه ليس هنـاك منطقـة تعج بالذئاب والضبـاع والأسود مثل تلك المنـطقة.. ودعك من كل هذا.. فلا مـاء ولا طعام.. إنها صحـراء قاحلة.. لولا تلك الشـعـاب لما عـثـرت على ظل يحـمـيك من الشمـس.. هذا بخلاف الهوام الـسامة التى تـرعرعت

في بيئة لم تزعجها فيها خطوات المسافرين... وإن كنت تريد المزيد.. فإن بحار الرمال مثل الفخاخ القاتلة.. كأن أبياراً حفرت في كل مكان.. الماء فيها عبارة عن رمل لا تميزه عن الأرض الصلبة.

- يا إلهي... مؤمن... ما هذا... «يضحك»...يبدو أنك مازلت تريد الإضافة.

جلس مؤمن وهو يقول:

- الشيء الأخير.. الذي لا تعرفه... أن هذه المنطقة بانعزالها عن الدنيا غدت من زمن مأوى لقطاع الطرق.. وأهل الإجرام المنحرفين.

- الله أكبر.. ها قد أكملت الصورة حتى أصبحت قاتمة.. مؤمن.. كيف بالله عليك عاش جدي في هذا المكان؟

- الله وحــده الذى يعلم ذلك يـا صـديقـى.. على.. أنا مـسـتـعـد.. وأحب أن أواجه الخطر فى سـبـيل الخيـر والحق.

- إذن علينـا يا مـؤمن أن نـأخـذ مــعنا بعض الرجــال الأشداء.. لا يمكننا الذهاب بمفردنا إلى هناك... أليس هذا رأيًا سديدًا؟

- كنت سأطلبه منك إن لم تعرضــه.. إنها رحلة شاقة.. ولولا حماسى لمعرفة هذا التاج لما طاوعتك أبدًا.

ومضى الليل وأتى الصباح وأخذ بلال يدور فى البلد مع مؤمن.. وهما متجهزان للسفر.. يحاول بلال أن يجد رجـالاً لمساعـدتهـمـا فى الرحلة، إلا أنه جـوبه بالرفض الشـديد.. ولـم يقـبل أى واحد مـن أهل البلد أن يذهب إلى هناك مهما كان العائد كبيرًا.

- لا تتعب نفسك يا بلال.. لن يرافقنا أحد.. هذا يثبت لك أننا فى مغامرة بمعنى الكلمة.. وأننا أحمقان إلى أبعد حد.. هيا بنا نتوكل على الله.

- تبًا لملك هذه البلاد.. تبًا له.. كيف جعل بسلطانه المتجبر قلوب الشباب خاوية من الشجاعة.. فلم نجد رجلا واحدًا لا يهاب الموت.

- لا تسب السلطان يا صديقى.. فإنما يولى الله على الناس واحدًا منهم.. ومن أعمالكم سُلط عليكم.. ولو صلح الناس كلهم.. لكان سلطانهم صالحًا.. ولو فسد الناس كلهم.. فلن تجد لهم سلطانًا إلا كان فاسدًا.

- حيرتنى معك يا مؤمن.. لقد بدأت أكره كل شىء.. لقد كرهت بلدتى هذه وملكها.. ووددت أن أذهب فلا

أرجع إليها مرة أخرى عسى أن يأتيها بريح تقتلعها من جذورها.

- ضحك مؤمن وقال:

- ستثبت لك الأيام أنك كنت على خطأ.. لا يجب أن يفكر الإنسان بهذا الشكل... يحب بسرعة ويكره بسرعة.. إنما عليه أن يفكر ويفكر ويفكر.

وكان هذا آخر ما بينهما من كلام.. فلقد انطلق الاثنان بجواديهما بسرعة عالية، يثيران الغبار خلفهما.. وكلهما عزمٌ على تحدى المجهول وقهر الصعاب.. وطويا الأرض طيًا.. والتهما المسافات التهامًا.. وأخذت الشمس تأتي وتذهب والليل يتعاقب.. وكأنما اليوم يغمض عينيه ثم يفتحهما وهما ما بين ظعن وسفر.. وتعب وراحة.. واقترب الهدف الضال.. لكن

يا ترى أيـن هو وسط هذه الشـعـاب والصـحـارى الشاسعة؟

- بلال.. اسـتعـد يـا صـديقى.. نحـن الآن فى المكان المحدد..

- نعم أعتقد أننا سنبـذل جهداً للبحث عن مكان يصلح لأن يكون جدى قد عاش به.

وتقـدما حـثيـثًا وبهـدوء وتوغلا فى المكان الذى قـد امتلأ بشعاب جبلية عشوائية، وكان مؤمن ينظر تحت قدم الحـصان كلمـا تقـدم.. متـوخـيًا الحـذر ألا يجـد نفسـه وجواده يغوصان فى بئر الرمـال المتحركة.. وأخذ يحذر (بلال).. واستطاعا بجهد شديد وتركيز عميق أن يتجنبا هذا الخطر.. وظلا يجـوبان واديًا كبـيراً.. وكـان الوقت ينزع للغروب... فلمـا أتى الليل بحثا عن مغـارة نظيفة،

فأويا إليها وبعدما ربطا الجوادين وفرشا ما كان معهما من الفرش.. حمل مؤمن حزمة حطب كان يحملها على فخذ جواده دائمًا لمثل هذه الظروف.. ثم أشعل بعضًا منها فأنارت المغارة.. وشعرا بتعب وإرهاق.. ثم ما لبث أن اشتد البرد وتحول إلى صقيع.. وأخذ كل منهما يقترب من الآخر.. وكاد بلال أن يحرق يديه بالنار من شدة اقترابه منها ليتدفأ.

- بلال.. انتظرنى.. سأحضر الجواد.. سنتدفأ به.

ظن بلال أن مؤمن سيذبح الجواد ويشويه.. لكنه فوجئ به يأتى بالجواد ويجلسه ثم يطلب منه أن يرافقه فى الجلوس فى حضن الجواد الذى كان جسده ساخنًا من شدة التعب والإرهاق فى الرحلة.. ومع كل هذا كان البرد شديدًا.. ومرت الليلة ولم يتمكن أحدهما من

النوم، بردًا وارتعـادًا.. ولما طـلع النهـار كـان الضـبـاب شديدًا.. واخـتنق به الجواد وارتفعت درجـة الحرارة إلى حد لا يطاق..

- أشعـر يا مؤمن أننى مـثل سمكة على شـواء.. هيا بنا نأوى إلى ظل مغارة.

- ظل مـغـارة؟! مـا هذا يـا بلال.. أبالليل مـغـارة وبالنهـارة مغـارة.. متى إذن سنعـثر على ضـالتنا.. تحـمل تحمل.. وأرجـوك.. لا تفـرط فى تناول الماء هنا.. لا أعـتـقـد أننا يمكننا الحـصـول على قطرة واحدة.. تقدم.

كان يسيران بحذاء الجبـال يحاولان الاحتماء بظل لا يدوم.. وكانا يبحثان عن أثر يـخبرهما بالمكان الذى كان يعيش فـيه الجـد الملك منذ مئات السـنين، وأحس مؤمن



أنه قد ارتكب حماقة بأن أقحم نفسه فى هذه المغامرة المبهمة.

ومضى النهار تلو الآخر، وبدأ الطعام ينفد.. والماء قارب هو الآخر أن يزول، واستبد بهما القلق.. وكانت ليلة شديدة البرودة.. ناما سويًا من شدة التعب فى المغارة.. وأخذت شعلة النار تخمد رويداً رويداً حتى لم يتبق منها إلا رماد مشتعل.. أحس مؤمن بحركة غريبة.. فتح عينًا واحدة.. نظر إلى عدة عيون تراقبهما فى تحفز.. أحس بالرعب.. عرف أنها ضباع مفترسة تنظر لفريستها قبل التهامها.. حمد الله أن الجوادين ينامان فى جوف المغارة وإلا كانا فريسة سهلة.. مد يده برفق وحذر إلى جراب السيف بجانبه وباليد الأخرى أخذ يوقظ بلال وهو يهمس:

- بلال.. بلال... بلال... إياك أن تبدى أى حركة... إياك.

كاد بلال أن يصعق من هول الموقف... الضباع تقف أمام باب المغارة فى تحفز لا يظهرها إلا ضوء القمر.. كان اللعاب يسيل من بين أنيابها الحادة المتعطشة.. تمنى مؤمن لو كانت النار مستعرة.. لما تجرأ أحدها على التقدم.. استطاع بلال أن يمسك بسيفه وقال له مؤمن:

- أمامنا أربعة ضباع... هل تعرف ما ينبغى عمله يا بلال؟

- أعرف أعرف.. ولكن هل سيظلون ينظرون إلينا هكذا يا صاحبى.. ألن ينتهى هذا الكابوس؟

- سأعد حتى ثلاثة.. أتفهمنى.. واحد.. اثنان.. ثلاثة.

فى العدة الثالثة قفزا على قدميهما وكل منهما يمسك سيفه بيديه.. فحدثت وثبة سريعة وخاطفة من الضباع.. تمكن مؤمن بحركة عرضية بسيفه أن يطيح برأسين.. أما بلال فقد أطاح برأس واحدة.. ووثب عليه الضبع الأخير فأسقطه أرضًا.. وأدرك أنه ميت لا محالة.. وقبل أن ينشب الضبع مخالبه فى رقبته كان سيف مؤمن أسرع فى طعنه طعنة قاتلة:

- الحمد لله.. الحمد لله.. كدت أن أصبح لقمة سائغة فى فم هذا الضبع الحقير.

- نحمد الله الكريم.. هيا بنا يا بلال نخرج هذه الجثث من هنا.. هيا.

- لا يا مؤمن.. لا.. يجب أن نرحل من هذا المكان اللعين.. يجب أن نرحل.. لقد تعبت أعصابى.. لم أعد أحتمل هذا الرعب والتعب.. لا حاجة بى إلى التاج الذى سيضيع عمرى من أجله.

ضحك مؤمن وهو يسحب جثث الضباع من المغارة وقال:

- ستموت قبل أن تعود إلى اليمن يا بلال.. كن عاقلاً.. لقد نفد الطعام والماء.. ولابد أن نعمل للبقاء على قيد الحياة قبل أن نهلك جوعًا وعطشًا... فلا يمكننا معاودة السفر والرحيل وليس لدينا ما نقتات به.. وأرى أننا قد نلنا قسطًا وافيًا من النوم حتى الآن.. وعلينا التحرك فى هذا البرد

لنتدفأ ونقطع الوادى بحثًا عن مصدر للماء أو الطعام.

عندما يكون المرء جائعًا فهو خير له من أن يكون عطشانًا.. كذلك فحكمة مؤمن من البحث ليلاً كانت جيدة.. لأن الحر الفظيع فى النهار سيسلب الماء من الجسم وسيجعلهما يستسلمان للموت.

البرد قارص والريح عاصفة وهما يترنحان فى ضوء القمر يبحثان عن الحياة... وظلا طوال الليل دون جدوى.. إنه مكان لعين.. مكان يأبى أن يحمل بين جنباته إلا الموت.. الموت فقط.

- مؤمن... لا أريد أن أموت يا أخى.. لا أريد.. أنا أتجمد من البرد.

- تمالك يا بلال.. إصرار المرء على الحياة وإيمانه بالله يمده بالقوة على البقاء..

أحس بلال أنه سمع صوتًا.. توقف وأمسك بذراع مؤمن:

- صه.. مؤمن.. هل تسمع شيئًا، أهو الوهم.. أم أنا على يقين؟

- بل أنت على حق.. أكاد أسمع صوت أناس يتكلمون.. من أين يأتى صوتهم؟!

أخذا يدوران حول بعضهما..

واستمرا بعد ذلك يتحركان حتى اقتربا من الصوت فوجدا نفسيهما على باب مغارة كبيرة.. دخلاها بهدوء وقال بلال:

- مؤمن نحن هنا منذ مدة كيف لم نر هذه المغارة من قبل؟!

- هذا ما يسمى بخداع التضاريس.. الصحراء لمن لا يعرفها تعتبر كالمتاهة.. كن حذرًا يا بلال.. الصوت أصبح قريبًا.. من هم يا ترى؟ الأربعون حرامى؟

ضحك بلال وهو يرتعد ويفرك يديه ببعضهما.. وتقدما للأمام.. المغارة متشعبة.. لكن ضوء نار يأتى من جهة تجذب المغامرين الاثنين.. تقدما بهدوء شديد... وأصبحا على بعد خطوات من المتحدثين، كان مؤمن يتمنى لو كانوا من الأخيار فيدخل إليهم ويعرفهم بنفسه.. لكن الأمر لم يكن على هذا التمنى، توقف مؤمن لحظة وأرهف السمع.. كان حواراً خطيراً:

- أيها الرجال.. بقى لنا ثلاثة أيام حتى ننفذ خطتنا.

- يا له من يوم.. كلنا نتنظر هذه اللحظة الحاسمة.

- كلوا يا رفاق.. كلوا واشربوا ودعونا نبتهج بهذه المناسبة.

أحس مؤمن بالحيرة.. إن لهجة المتحدثين لم تعجبه.. لهجة أشرار عتاة.. ويا ترى ما هو الشيء الذى ينتظرونه بعد ثلاثة أيام.. ولماذا هم فى سعادة لاقتراب حدوثه؟ أما بلال فلم يعنيه كل ذلك.. فرائحة الطعام كادت تدفعه لاقتحام المكان لولا مؤمن.

- يا إلهى.. رائحة الطعام لذيذة يا مؤمن.. فلندخل ونطلب منهم الطعام.

- انتظر.. استمع لما يقولون.. إنهم مجرمون.

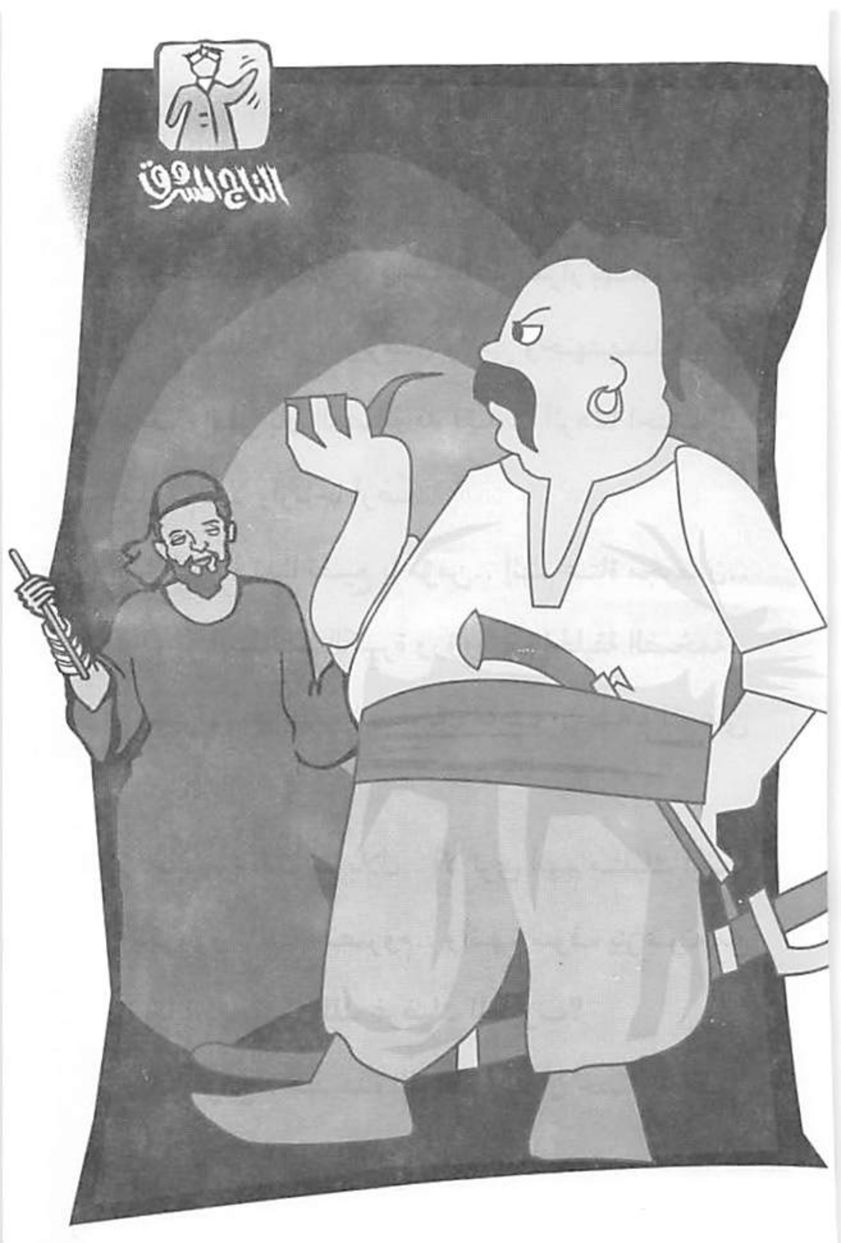
- يا رجال.. يا رجال.. غدًا سنتحـرك بأقصى سرعتنا.. حـتى نصل إلى اليـمن فى الموعـد المحـدد.. وسنقـوم باغتيال الملك هناك ونستولى على مقاليد الحكم.. ولن يكون هناك من يسمى بالملك حصروم بعد الآن.

- تنبه بلال وقال بسرعة وصوت عال:

- إنه ملك بلادنا يا مـؤمن.. إنهم يريدون اغتـيال الملك حصروم.

وسمع أفراد العصابة صوت بلال فأسرعوا بالخروج إليه من مكمنهـم ولكنه أسرع بالفرار مع مـؤمن، وجريا يتعثران حتى يخرجا من المغارة.. وأصبحت مطاردة.

وفى جـوف الليل أخـذا يجـريـان بكل مـا أوتيـا من قوة.. والعصابة تربو على العشرين فردًا تطاردهم.


التاج المسروق

ولحقا بالجوادين.. واستطاعا الفرار بهما بعيدًا، وأخذا ينطلقان ولا يعرفان ما هى وجهتهما.. وبعد التعب والظن بأن العصابة قد فقدت أثرهما احتميا إلى جبل ثم نزلا وارتاحا أرضًا:

- يا إلهى.. كدنا نضيع يا مؤمن.. إنهم عتاة مجرمون.. ألم تر أجسامهم الكبيرة ورؤوسهم الحليقة الضخمة.. وسيوفهم عريضة الصفحة.. يجب أن نشكر الله على النجاة.

- دعك من ذلك يا بلال.. ألا ترى أنهم مثلك أيضًا يكرهون الملك حصروم.. وأنهم سوف ينزعونه من مكانه ويحققون لك غرضك المحبوب؟

- لا يا مؤمن.. عند هذه اللحظة أجد أن حصروم أفضل

من هؤلاء الغـزاة.. علـى الشـعب أن يبـادر بإصـلاح الحاكم إذا كان فاسدًا.. ولا يدع قـوة خارجية تحقق له ما عجز هو عنه.

- ماذا تعنى يا بلال؟ والتاج الذى جئنا نبحث عنه؟

- دعك من أمر التاج يا مؤمن.. إنى لا أفكر الآن إلا فى اعـتداء المجـرمـين على بلادنا.. يجب أن نمنعـهم بأى شكل.. بأى شكل.

وهنا.. وإلى هذه الكلمـة.. نظر مـؤمن أمامـه ليجـد حوافـر الخيل تحـيط بهـما.. والسـيوف الكبـيرة مـسددة إليهما وقال صوت خشن صلف:

- أنتمـا.. لقد طاردناكما حـتى تعبنا.. قومـا.. فالرئيس ينتظركما فى المغارة.

لم يجد مؤمن قدرة على المقاومة.. وكان عليه إلقاء السيف قبل أن يقوم هو وبلال.. وتقدم إليهما رجل ومعه خيل وربطهما من الخلف وأمسك طرف الخيل يجرهما وراءه، وهو يتقدم على جواده مع بقية أفراد العصابة.

ولما وصلوا إلى المغارة.. أدخلوهما على رئيس العصابة.. كان غاضبًا إلى حد كبير.. وأخذ يحقق معهما.. ولما عرف أن بلال من اليمن.. قرر أن يؤجل تنفيذ الخطة:

– لماذا نؤجل الخطة أيها الرئيس؟.

– هذان الجاسوسان قد أقلقانى.. ولابد أنهما قد أبلغا الملك حصروم وأنه الآن يستعد لنا.. لذلك سنرسل

رجلا إلى اليمن لاستطلاع الأمر أولا.. وسنحتفظ بهذين الجاسوسين عندنا حتى نتأكد من الأمر.

وهكذا وجد مؤمن نفسه لأول مرة عاجزًا من فعل أى شىء.. خرج بهما المجرمون إلى العراء وربطوا كل منهما إلى جذع شجرة ميتة.. ولولا أنهم قد قدموا لهما طعامًا.. لقيمات فى الفم لماتا من البرد والجوع.

وفى الصباح جاء رجال العصابة يتدربون على التصويب بالخناجر.. وضعوا مؤمن هدفًا لهم.. كانت لحظات عصيبة له وهو مربوط واقفًا إلى شجرة غليظة ويتناوب الرجال رشق الشجرة بالخناجر.. وأدرك لو أن واحدًا منهم أخطأ الهدف مرة واحدة لأصابه إصابة

بالغـة.. أما بلال فـكاد يغشى عليـه وهو يرى مـؤمن فى هذا الموضع الخطر. وفـى هذا الموقف العـصـيب لاحت لمؤمن فكرة أن يتحداهم عسى أن يقلعـوا عن استخدامه كهدف لمنافساتهم الخطرة:

- يا رجال.. أنتم لسـتم ندًا لى.. يمكننى أن أريكم مالا يقدر أحدكم على فعله أبدًا.

وبالفـعل.. أثارهم التـحدى فـتوقـفـوا وأقبلوا عليـه يسألونه فى سخرية:

- وهل لمثلك أيـهـا القـزم البـرىء فى تحـدى الجـبـابرة أمثالنا؟!

- سأريكم.. ولكن حلوا وثاقى أولا.. يمكننى أن أسدد بسيف أحدكم أفضل مما تسددون أنتم بالخناجر.

نظروا لبعضهم فى دهشة.. لا يمكن لأحد أن يسدد رمية بالسيف الكبير المنحنى، ولكن واحداً منهم جاءته فكرة ماكرة:

- إذن سيكون صاحبك بلال هذا.. هو الهدف.. سنضع لك تفاحة على رأسه وإذا لم تصبها قتلناك.. هل أنت موافق؟

صرخ بلال فى مؤمن وقد خشى على نفسه الموت:

- لا يا مؤمن.. لا.. أرجوك..

شعر مؤمن بمدى خطورة الفكرة، وقرر التراجع عنها.. لكن أفراد العصابة أعجبهم ذلك.. فحلوا وثاق مؤمن وربطوا بلال بدلا منه.. ووضعوا تفاحة فوق رأسه، ثم أعطوا السيف لمؤمن.. ولما قبض على

السيف ونظر إلى بلال.. كاد بلال أن يغشى عليه من الخوف.. لكن مؤمن الذى يعرف جيدًا معنى أن يكون بيده سيف.. كان حوله أكثر من ستة رجال.. كانوا فى حالة من الترقب الشديد وانتظار رميته نحو بلال.. واستطاع أن يوحى إليهم أنه سيفعلها.. ثم بدلا من أن يرمى استدار وخطف سيفًا آخر من أحد الرجال.. وجرى بسرعة نحو بلال فأعطاه السيف.. وقطع قيده بسيفه.. ودارت مبارزة حامية وسريعة.. واستطاع مؤمن وبلال أن يتغلبا على رجال العصابة وقفزا على جواديهما وانطلقا.. لكن بقية أفرادالعصابة كانت فى أثرهما، وكان على مؤمن أن يوجه بلال الذى كان معترضًا.



- يا مـــؤمن.. لا تذهب إلـى هذا الاتجـــاه.. لا تذهب..
نحن هكذا نقترب منهم.

- يجب أن تسمع لـى يا بلال وأن تستجـيب لأوامرى..
اتبعنى.. كن خلفى.. كن خلفى ولا تبتعد عنى.

خفف مؤمن من سـرعته وكاد الجواد يكون مـاشيًا وهو يسلك طريقًا ضيقًا بين جبلين.. كان يمشى فوق الصخور ويحاول ألا يسـير على الرمال.. وبلال ينفذ تعليماته ويسير خلفه، وبعد قليل ظهر عدد من رجال العـصابة خلفـهمـا ينطلقـون بأقصى سـرعة.. صـاح بلال:

- يا مؤمن إنهم خلفنا هيا ننطلق.

- لا.. إياك.. إياك.. كن خلفى.. سر على خطواتى.

وفجأة وبعدما كان رجال العصابة على بُعد قليل وكادوا يلحقون بهما.. إذ بالرمال تغوص بهم.. إنه بحر رمال صغير.. كان بلال ومؤمن ينظران لأفراد العصابة وهم يغيبون بجيادهم كأنهم يغرقون فى الرمال.. يصرخون.. يستغيثون.. لكن هم الذين جنوا على أنفسهم.

- مؤمن.. هذا شيء عجيب.. ومخيف.. كيف عرفت بهذا المكان.. كيف عرفت؟

- أول ما جئنا إلى هنا.. مررت بهذا المكان ونحن نبحث عن مكان جدك.. ولأننى غزوت الصحراء كثيراً.. ارتبت بهذه البقعة.. فحملت صخرة وقذفتها فيها.. فإذا بها تغيب بسرعة لأسفل.

- مـؤمن.. مازال هناك بعض رجـال العـصابة.. هيـا بنا نواجههم قبل أن يرجعوا إلى اليمن ويغتالون الملك.

وعادوا مسرعين إلى المـغارة.. وعجبوا أنه لا أثر لأى من بقية العصابة:

- مؤمن.. يبدو أنهم فى طريـقهم إلى اليمن.. يجب أن نلحق بهم..

- لا.. مـازال الـرجل الذى أرسلوه إلى هنـاك لم يرجع بعـد.. إنهم هنا.. هنا فى مكان مـا.. ويجب أن نجهـز عليهم قبل أن يجـهزوا هم علينا.. تعال بنا ندخل إلى المغـارة.. تعال.. كن حـذراً.. بلال.. قف مكانك ولا تتحرك أى حركة.

عندما هبطا من فوق جواديهما ودخلا إلى باب المغارة إذ بحية من نوع شديدة السمومة تخرج من شق في الجدار وتجد نفسها في المواجهة معهما:

- مؤمن.. يا إلهى.. إنها تستعد للهجوم..

- فقط لا تبد أى حركة.. كن مثل تمثال من الحديد.

مد مؤمن نصل سيفه نحو الحية وأخذ يدير النصل يمنة ويسرة حتى انشغلت به وأخذ يقترب منها وهو يثنى ركبته فى حذر بالغ.. ولأنه مارس صيد الحيات فى مغامرات سابقة.. فقد بهر بلال وهو يستعد باليد الخالية حتى أطلق راحته نحو رقبتها من الخلف فقبض عليها واستعد بلال لقطع رأسها فرفض مؤمن وأخرج كيسًا من حزامه، ثم بحرفية وتمرس قديم وضعها فيه وربط

الكيس وحمله معه، وتعجب بلال من هذا التصرف فأجاب مؤمن:

- لقد تعلمت صيد الثعابين بعد تدريب شاق فى مغامرات سابقة ولا يستطيع أحد صيد الثعابين إلا بعد تجارب طويلة وتدريب مضنٍ، ثم إن هذه الحية ستكون ذات قيمة فى القريب.. إنها سلاح فتاك.

وتقدما ودخلا إلى جوف المغارة.. كانا حذرين إلى حد كبير.. يتوقعان ظهور خصم فجأة، ووصلا إلى المكان الذى كانت به العصابة من قبل.. ولكنه كان خاليًا إلا من الطعام والشراب.. وكان الجوع قد ألم بهما إلى حد كبير.. فسقطا على الطعام والشراب وتناولا ما أشبعهما.. وهنا زادت القوة.. ودب النشاط والحيوية..

وزادت الجرأة.. وعادا من جديد يتابعان التقدم والتوغل داخل المغارة.. وبعد أن عبرا ممرًا وعرًا مخيفًا.. سمعا صوت أنين وصوت رجل يتكلم.

- مؤمن.. ما هذا.. إنه صوت أنين امرأة.. أليس كذلك.

- تحرك بحذر.. لا تصدر بقدميك أى صوت يا بلال.. هيا بنا للأمام.

وكأنها غرفة على جانب الممر الصخرى.. كان يصدر منها ضوء خافت.. وصوت امرأة تئن.. اقترب مؤمن ومد عينًا واحدة فرأى رجلين من رجال العصابة يشربان الخمر وأمامهما فتاة جميلة مقيدة ومكممة.. فما كان منه إلا أن أخرج كيس الحية وفتح الرباط ثم ألقى بالحية بقوة

ناحيـة رجل منهـما ولدغتـه من رقبـته. وقـبل أن يفطن الرجل الآخر.. إذ بمؤمن وبلال ينقضـان عليه فلم يملك إلا الاستـسلام.. وجرى مـؤمن فحل وثاق الفـتاة.. ولما رآها بلال صاح مندهشًا:

- الأميـرة!.. الأميـرة نظيرة؟!.. الأميـرة نظيرة!.. غـير معقول!

- الأميرة نظيرة؟ من هى الأميرة نظيرة يا بلال؟

- إنها ابنة الملك حصروم.. مؤمن.. لقد أغشى عليها.

- اعمل على أن تفـيقهـا يا بلال.. يبدو أننا أمام عـصابة شديدة المراس.. كنت مـتعجبًـا أنهم على قلة عددهم يتكلمون عن مـحاربة ملك اليـمن.. لكن الآن عرفت أنهم باخـتطافهم الأمـيرة يمكـنهم التأثيـر على الملك

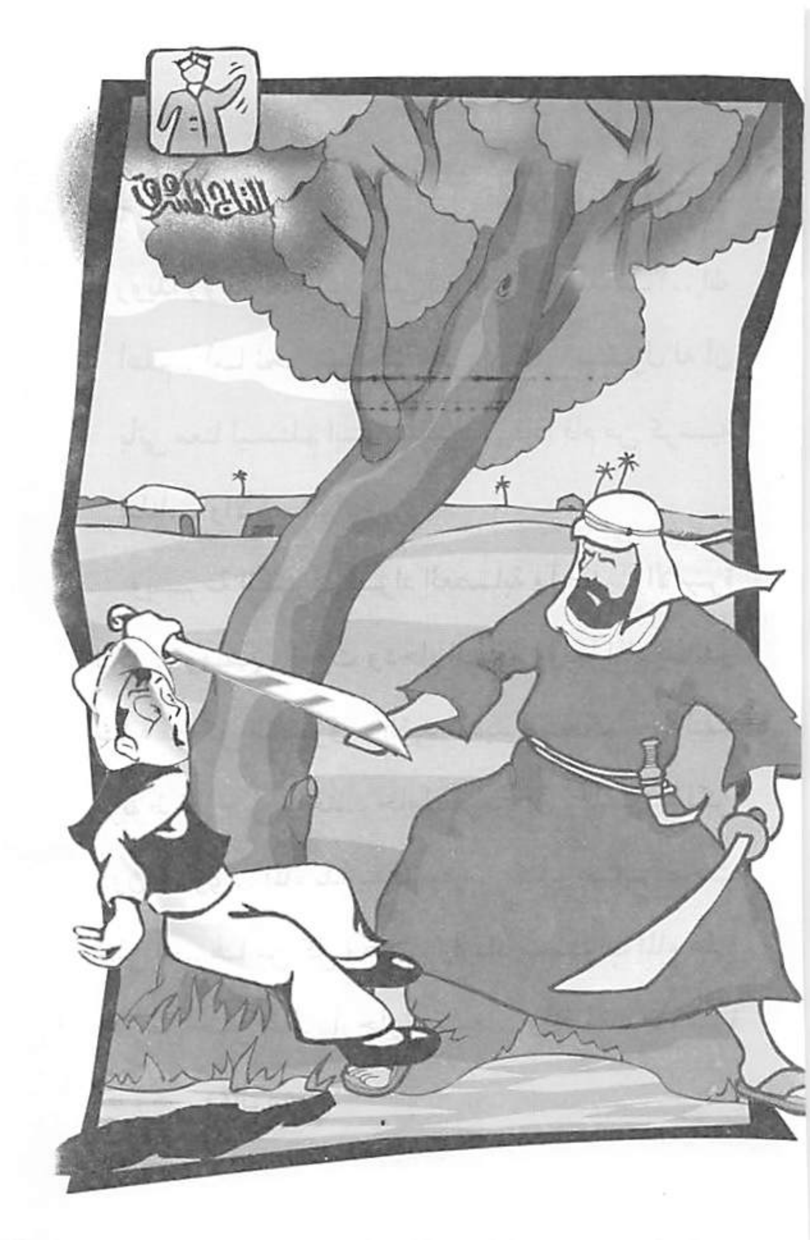
ونزعه من عرشه وقتله.

وبعد قليل أحضر بلال طعامًا وشرابًا للأميرة.. وأخذ مؤمن يحاول حمل رجل العصابة الباقى على قيد الحياة على الاعتراف على زملائه.. لكن الخمر كانت قد ذهبت بوعيه فأخذ يهذى.. فما كان منه إلا أن قيده مكان الأميرة.. وخرجوا ثلاثتهم وكل همهم الانطلاق بالأميرة والعودة إلى اليمن بأسرع وقت.

لكن أين بقية العصابة.. أين هم الآن.. ولأى شىء يخططون.. وجرى مؤمن وبلال والأميرة بكل سرعتهم وخرجوا من المغارة يحمدون الله على السلامة.. ولكنهم لم يجدوا الجوادين.. وأخذتهم الحيرة.. أين الجوادان؟! ولم يتوقع أى منهم ما حدث.. فبينما هم

على دهشتهم إذ شعر مؤمن وبلال بنصل سيفين يسددان إلى ظهريهما.. ولما استدارا بوجهيهما للخلف رأوا عددًا كبيرًا من رجال العصابة يقفون خلفهم وهم يضحكون.. ويا لها من محنة.. وبعد لحظات قليلة كانوا في جوف المغارة في مكان ناء منها.. مكان مخيف ومظلم ومربوطين بحبال ثقيلة ومتينة.. وكان رجال العصابة على وشك الانصراف وقال رئيسهم بسخرية:

- ستبقون هنا.. أتعرفون هذا المكان.. نحن نعرفه جيدًا.. بعد قليل.. يحدث مد مائى.. الماء فى الليل يخرج من بين الشقوق ومن الأرض والسقف.. وهذه الغرفة تغرق كلها بالماء.. وفى الصباح يتناقص الماء



رويدًا رويـدًا من أين يأتـى؟.. إلى أين يـذهب؟.. الله أعلم.. أمـا نحن سنذهـب إلى الملك.. سنقـول له أن يأتى معنا ليـستلم ابنته.. بمفـرده.. فإذا قام من كرسـيه قتلناه.. والآن.. الوادع.

وبسـرعة انصـرف أفـراد العصـابة وأخـذت الأميـرة تبكى.. ومـضى الوقت ودخل الـليل.. وبدأ الماء يتـدفق ببطء من كل الشقـوق.. القيد شديد ومـحكم.. ثلاثتهم مربوط فى حبل واحد.. حاول مؤمن أن يتفلت منه لكن دون جدوى.. الماء بدأ يتدفق بقوة.. كـأنه صنابير فتحت على آخـرهـا من كل مكان.. وازداد منســوب الماء على الأرض حـتى غطى أرجلهم كلـها.. وأخـذت الأمـيـرة تصرخ.. وقال مؤمن:



- يجب أن نقف.. فلنحاول أن نقف سويًا حتى لا يغمرنا الماء ونحن جلوس.

وبعد محاولات يائسة.. استطاعوا أن يقفوا، فلما وقفوا طمعوا فى الخروج وهم على قيدهم هذا.. لكن كيف يتقدمون ويصعدون درجات عشر منحوتة فى الصخر.. ومع ذلك.. حاولوا.. فلما حاولوا وقعوا.. وكاد بعضهم يغرق الآخر.. فقاموا على التحامهم بالقيد.. يتساقط منهم الماء.. وقد أحاط بهم اليأس وأدركوا أنهم سيموتون غرقًا لا محالة عندما يغطى الماء رءوسهم.. ومرت اللحظات الحرجة.. منسوب الماء يزداد.. لا مجال للكلام.. ماذا سيقولون وعلى العقل أن يحترق تفكيرًا حتى يصل إلى فكرة تنقذهم من الغرق.

ازداد منسوب الماء حتى وصل إلى ما فوق الخصر.. إنه الموت.. فقدوا كل قدرة على التصرف.. استعد كل منهم لأن يواجه الموت ولم يكن بلال يفكر إلا فى لحظة وصول الماء إلى فوق أنفه ثم تنفسه الماء، أما مؤمن فهو لا يفكر إلا فى وسيلة للخلاص والنجاة.. وفجأة صرخ فيهم:

- ساعدانى.. ساعدانى حتى نصل إلى الجدار.. سنتقدم إلى الجدار بزحف الأقدام لا يرفع أحدكما قدمه عن الأرض.. تزحف فقط.. هناك صخرة حادة أراها.. إنها تلمع كالسكين.. يجب أن نصل إلى الشفرة الحادة.. سأقطع الحبل بها.

وكان بريق الأمل معينًا لهم على بذل آخر جهد ممكن.. يتقدمون نحو الجدار كتلة واحدة فلما وصلوا..

استداروا حتى أصبح ظهر مؤمن للشفرة الحادة.. وأخذوا جميعًا يصعدون ويهبطون ويحك مؤمن ظهره المحاط بالحبال فى حافة الصخرة الحادة حتى يقطعه.. الماء يزداد منسويه بسرعة.. أصبح عند الصدر.. وهم مضطرون لأن يهبطوا ويصعدوا فوق وتحت سطح الماء.. هيا يا مؤمن.. هيا يا مؤمن.. الماء يزداد.. حتى أصبح عند الفم.. يرفعون الوجوه لأعلى.. ومؤمن يحاول.. ويحاول.. وكادت الأميرة نظيرة أن تستسلم للموت عندما صاح مؤمن.. نجحنا.. نجحنا.. الحمد لله.

وبسرعة قام بفك الوثاق.. وساعد هو وبلال الأميرة وسبحا بها إلى خارج المكان وحمدا الله على السلامة.. فلما أصبحوا خرجوا من المغارة ووقفوا فى حيرة بالغة.

يجب أن يسبقوا العصابة إلى اليمن.. ويجب أن يعلم الملك أن الأميرة على قيد الحياة وأنها ليست تحت سيطرة العصابة.. قبل أن يغتالوه.. لكن.. لا وجود لوسيلة تنقلهم بهذه السرعة إلى اليمن قبل وصول العصابة.. فما العمل؟

الليل مخيف.. والرياح شديدة باردة.. والملابس مبللة والرغبة فى الإسراع قاتلة وقال بلال بيأس شديد:

- لابد أننا سنموت فى هذا المكان بأى شكل من الأشكال.

ولكن مؤمن كان على عهده بعدم اليأس أبدًا مادام الله موجود فقال:

- لا يجب علينا أن نقف مكاننا أو نقعد مستسلمين

للموت جـوعًا وبردًا.. لا فلنستغل الليل ونسـير على الأقدام للأمـام.. وعسى أن نعثـر على من يوصلنا إلى اليمن، واستجـاب بلال ونظيرة وتقدموا كلهم.. لكن مؤمن توقف فجأة وصاح:

- بلال.. جـوادانا.. لا يمكن أن يأخـذوهمـا معـهم.. كمـا أن عدد أفـراد العصـابة قد نقص بسـبب قتـالنا إياهم.. ولابد أن هنـاك في مكان مـا توجـد جيـاد كثيرة.

- غيـر معقـول يا مؤمن.. غيـر معـقول.. هل يمكن أن يكون رئيسهـم بهذا الغباء.. يتركـون لنا ما يمكننا من اللحاق بهم.. لا.. دعك من هذا يا مؤمن.

وهنا خرجت نظيرة عن صمتها وقالت وهي ترتعد:

- قد يكون كلام مؤمن صحيحًا.. فعدد الجياد يمكن أن يعيقهم عن الإسراع لليمن.

- شكرًا لك يا نظيرة.. عفوًا أيها الأميرة.. لكن أين.. أين.. فكرا معى فكرا.

- القمر ينير الأرض.. فلنراقب الأثر.. الأثر يا مؤمن.

كانت نظيرة محقة.. فقد رجعوا مسرعين أمام المغارة وراقبوا الآثار.. وعرف مؤمن الفرق بين الأثر القديم والحديث.. وتبعوا أثرًا ظنوا أنه الصحيح وقد كان.

فبعد مسافة قصيرة رأوا مغارة صغيرة.. ولما دخلوا وجدوا الجياد تربو على الخمسة وإلى هنا كانت النجاة ممكنة.. امتطوا ظهور الجياد.. وانطلقوا يشقون الهواء ليلحقوا بالملك قبل وقوع المحظور.

كانت الرحلة طويلة.. وعانوا فيها معاناة شديدة.. ومرت أيام عديدة.. وكانوا يتمنون لو لحقوا بالعصابة قبل وصولها.. لكن أدركوا أنهم قد سبقوهم.. فها هى أبواب المملكة تلوح من بعيد.. ولا أثر للعصابة.. فهل نجحوا فى مهمتهم، وعندما وصلوا للباب سألوا الحراس فأخبروهم أن العصابة قد توجهت إلى القصر تواً فهرعوا تخفق قلوبهم.

أما فى القصر.. فقد كان رئيس العصابة يأمر الملك ويقول له:

- ابنتك الأميرة نظيرة فى مكان ما عندنا.. وإذا أردت أن تبقيها على قيد الحياة فعليك أن تخلى القصر كله من الحراس حتى نتفق على كل شىء.

وأمر الملك حصروم كل الحراس بالخروج من القصر.. وهنا تقدم رئيس العصابة ونزع سيفه من غمده.. وأشار به إلى الملك وقال:

- هؤلاء رجالى.. سيحكمون البلاد بعد رحيلك.. أحب أن أخبرك أن الأميرة نظيرة الآن فى العالم الآخر.. ولأنك تريد أن تراها فيجب أن أرسلك إليها هناك.. ها ها ها.. الوداع أيها الملك.

وطوح رئيس العصابة سيفه ليطيح برأس الملك حصروم.. ولكن الباب انفتح بقوة واندفع مؤمن وبلال ونظيرة للداخل.. وتبعهم الحرس ودارت مبارزة جماعية شرسة.. وعنيفة.. وسقط الملك حصروم بعرشه للخلف.. فانكسر العرش وتحطم إلى عدة قطع.

وأخذ مؤمن يقاتل مع بلال والحرس ضد أفراد العصابة العتاة الذين كانوا على بأس شديد وقوة لا يستهان بها.

وجرى مجموعة من الحرس والتفوا حول الملك حصروم وابنته الأميرة نظيرة.. وتمكن الباقى من قتل معظم أفراد العصابة.. وبقى القليل فقبضوا عليهم.. إلا أن مؤمن تصدى لرئيسهم الفتى ودارت مبارزة حامية.. كاد مؤمن أن يموت بسيف المجرم الشرس.. إلا أن بلال قذف بسيفه إلى صدر المجرم فقتله فى الحال.. فضحك مؤمن وقال:

- لم أعرف أنك ماهر فى قذف السيف يا بلال..

ولم يجب بلال.. بل لم يكن ينظر لمؤمن.. كان شاخصًا بصره إلى العرش المكسور.. ثم جرى إليه ومد

يده فى شق كبير بقاعدته وأخرج تاجًا جميلاً مرصعًا وهو يصيح:

- تاج جدى.. تاج جدى يا مؤمن.. هذا هو التاج.. يا إلهى.. يا إلهى.. ما أجمله.

كان موقفًا مهيبًا.. وعجيبًا.. أين ذهبوا للبحث عن التاج.. ثم أين وجدوه.. عرف بلال أن هذا العرش كان عرش جده.. وأنه أخفى التاج بداخله.. وقال الملك:

- لم أكن أعلم أنه هنا.. لقد بحثت عنه كثيراً.

وهنا قال مؤمن لبلال:

- أرنى هذا التاج يا بلال.. هذا الذى كانت حياتنا ستضيع من أجله.. شىء غريب.. كيف لهذا التاج أن يكون مصدر قوة للملك.. ثم بعد ذلك أصبح عديم

القيمة.. إنه مجرد تاج عادى.. ولابد أن جدك كان يتفاءل به.

أحس الملك حصروم بالامتنان لمؤمن وبلال.. وأدرك أن ممارسته السيئة فى ظلم شعبه قد أفرزت له كراهية شديدة.. وبينما هو يعتذر لبلال إذ بمؤمن يصرخ وهو يمد أحد أصابعه فى فجوة بقاعدة التاج.

- انتظروا.. بداخل التاج صفحة صغيرة من الفضة.. انتظروا.. لابد أن بها شيئًا مهمًا.

تجمعوا حوله وهو يخرج شريحة فضية منقوشة بعناية وكان عليها آية من القرآن الكريم تقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩].



حدث وجوم طويل فى باحة القصر وكل منهم يفكر فيما تعنيه هذه الآية.. ولكن مؤمن قد فهم الحكمة وقال لبلال:

- أنا عرفت لماذا كان لهذا التاج قيمة غير عادية.. هذه الآية.. هذه الآية كأنها تحذير لمن يرتدى هذا التاج.. إن من أعطاه الله نعمة الملك وجلس على عرش يحكم البلاد أو فى أى منصب يقود فيه الناس.. فعليه أن يؤدى شكر هذه النعمة وأن يحترمها وألا يبدلها إلى ظلم للناس ويتعدى على حقوقهم.. نعم يا إخوانى.. فمن فعل ذلك.. اشتد ملكه ونما رخاؤه.. ومن لم يعمل بها وكفر بنعمة الله عليه وبدلها إلى ما لا ينبغى لها.. فيزول ملكه ويذهب

جاهه ويعرض أهله وقومـه إلى الضياع.. وهنا صاح الملك:

- أنت رائع يا مـؤمن.. أنت أكـثـر من رائع.. يا إلهى.. كم كنت أبحث عن هذا الـتاج حـتى أسـتخـدمـه فى تنمـية قـوتى وترسيخ ملكى فى البـلاد.. وها أنا الآن وهو بين يدى لا أحتـاج إليه.. لقـد فهمت حكمـته.. وعلى أن أغير أسلوبى فى مملكتى ولن أبدل نعمة الله علىَّ كـفـراً.. ومن الآن سـأعـلنْ للشـعـب كـله أننى سأخـرج لهم ثرواتهم التى انتزعتـها منهم.. وسأعـيد للبلاد العدل والرخاء.

أخذ بلال التاج وضمه إلى صدره وقال:

- وأمـا أنـا.. فـقـد كنت حـريـصًـا على طـلب الملك

والسلطان.. أما الآن فإني وجدتها مسئولية شديدة الخطورة.. تحتاج من الإنسان إلى أن يكون مخاطراً بحياته.

نظرت نظيرة إلى مؤمن مبتسمة وقالت:

- أما أنت يا مؤمن.. فلا أدرى كيف أشكرك على ما قدمته من شجاعة وحرص على حياتى.. أنت شاب نادر.. نادر.

- همَّ مؤمن بالانصراف ليعود إلى مصر.. ولكن الملك استوقفه وتقدم منه وعانقه على ما كان منه من تعاون وحكمة.. ثم مد أصابعه إلى خاتم ثمين له ونزع منه جوهرة أو ماسة صغيرة وقال له:

- أما الخاتم فلا أعطيك إياه.. لأنه ذكرى من أجدادى..

ولكن الماسة النادرة فهى من حقك.. أقل ما أستطيع أن أكافئك به على ما قدمته لى ولمملكتى ولابنتى من عون.

نظر مؤمن للماسة الجميلة ووضعها فى جيبه وهو يبتسم ويقول.. الحمد لله.

تمت بحمد الله تعالى

* * *